



قِصَّةُ يأجوجَ ومأجوج

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود
إشراف : أ. حمدي مصطفى



وصل الفاتح العظيم « ذو القرنين » في رحلته الثالثة نحو شمال الكرة الأرضية إلى منطقة جبال ضخمة .. وهناك عند جبلين شاهقي الارتفاع وجد « ذو القرنين » قوما لا يكادون يفقهون قولا ..

وقد مكن الله (تعالى) عبده « ذا القرنين » من فهم لغة هؤلاء القوم ، والتعرف على مشكلتهم ، فشكا إليه هؤلاء القوم أن « يأجوج » و « مأجوج » يخرجون عليهم من ثغرة بين الجبلين الشاهقين ، اللذين يعيشون خلفهما ؛ فيعتدون عليهم ، ويسرقون أموالهم ومحاصيلهم ومواشيهم ، ويسفكون دماءهم ، ويعيثون في الأرض فسادا ..

وعرض هؤلاء القوم على « ذي القرنين » أن يقدموا له جزية من أموالهم يدفعونها له باستمرار في مقابل أن يجعل بينهم وبين « يأجوج » و « مأجوج » سدا يغلق تلك الثغرة التي يخرجون عليهم منها ، فقال لهم « ذو القرنين » :

ـ لا أحتاج إلى أموالكم ، لأن الله (تعالى) قد أعطاني ما هو خير منها .. سوف أقيم لكم سدا حصينا منيعا محكم البناء .. كل ما أحتاج إليه منكم هو أن تعينوني بقوة أيديكم وسواعدكم ،

حتى أُقيم لكمْ ذلك السدَّ الضخم من الحديد المحمى والنُّحاس المصْهور ..

وهكذا سخَّر اللَّهُ (تعالى) عبْدهُ الصَّالح « ذا القرنيْن » لبناء ذلك السدِّ الضخْم المُحْكم من الحْديد والنُّحاس ؛ ليكُون حاجزًا يحول بيْن خُروج «يأْجوج » و « مأْجوج » على النَّاس وإفْسادهم فى الأرْض ..

فلما انْتهى « ذو الْقرنيْن » من بناء ذلك السدِّ الْمُحْكم ، حبس «يأْجوج » و « مأْجوج » خلْفهُ ، وحال دُون خُروجهم على النَّاس وإفْسادهم فى الأرْض ..

لقد حبسهُمْ « ذو الْقرنين » فى سجْنهم ذلك خلْف السدِّ إلى أنْ يشاء اللَّه (تعالى) ..

وقدْ أخْبرنا اللَّهُ (تعالى) أنَّ « يأْجوج » و « مأْجوج » سيظلُّون محْبوسين خلْف ذلك السدِّ ، وأنهم لن يقْدروا على صُعوده أو تسلُّقه لارتفاعه وملاسته ، ولنْ يقْدروا على نقْبه أو إحْداث حفْرة فيه لقُوَّته ومتانته ..

وأنَّ هؤلاء الْقوْم الْمفْسدين فى الأرْض سيظلُّون محْبوسين فى سجْنهمْ خلْف ذلك السدِّ إلى أنْ يشاء اللَّهُ (تعالى) ، ويأْذن بخُروجهم على العالم من سجْنهمْ ، وأنَّ ذلك سيكُونُ بدكِّ السدِّ وهدْمه ..

قالَ اللَّهُ (تعالى) على لسانِ عبْده « ذى القَرنيْنِ » :

﴿ فإذا جاءَ وعْدُ ربِّى جعَلهُ دكَّاءَ وكَانَ وعْدُ ربِّى حقًّا ﴾

[سورة الكهف الآية ٩٨]

فمنْ همْ « يأجوجُ » و « مأجوجُ » ؟!

وماهِيَ قصَّتهمْ ، وأينَ يُوجَدُونَ الآنَ ، ومتى يَخْرجونَ ، وماذا كانَ وسيَكُونُ منْ أمْرِهم ومصيرِهمْ ؟!

* * *

قالَ بعْضُهمْ :

ـ إنَّ « يأجوجَ » و « مأجوجَ » قبيلتانِ منْ بنِى آدمَ منْ نسْلِ « يافثَ بنِ نُوحٍ » . .

وقالَ بعْضُهمْ :

ـ بلْ همْ منَ التُّرْكِ . .

وقالَ آخرونَ :

ـ بلْ همْ منَ الدَّيْلمِ . .

وقدِ اخْتَلفَتِ الأقوالُ ، وتشَعَّبَتِ الآراءُ فى أوْصافِ وأشْكالِ « يأجوجَ » و « مأجوجَ » . .

فمنْ قائلٍ إنهمْ طوالٌ جداً كالنَّخْلة السَّحُوق ، ومنْ قائلٍ إنهمْ في غايةِ الْقصر . .

ومنْ قائلٍ إنَّ آذانهم كبيرةٌ جداً ، لدرجةِ أنَّ الْواحد منْهمْ يفْترِش إحْدى أُذُنيه ويتغطّى بالأُخْرى . .

وغيْرها من الأَقْوال . .

ومنْ يطّلعُ على هذه الأوْصاف يعْتقدُ أنَّ « يأْجوج » و « مأْجوج » لَيْسوا من الْبشرِ ، وإنما هُمْ مخْلوقاتٌ خُرافيةٌ غريبةٌ . .

ولكنْ وردَ وصْفٌ دقيقٌ لـ « يأْجوجَ » و « مأْجوجَ » في الْكثيرِ من الأَحاديث النَّبويَّة الشَّريفة . .

وصفهمُ الرسولُ ﷺ بقوْله :

ـ « إنكُم تقولُونَ : لا عدوَّ ، وإنكُمْ لا تزالُونَ تُقاتلُون عدوّاً ، حتى يأْتيَ « يأْجوجُ » و « مأْجوجُ » ، عراضُ الْوجوه ، صغارُ الْعيون ، شُهبُ الشّعاف (الشعافُ أعْلى شعْر الرأْس) منْ كُلِّ حدبٍ ينْسلُونَ كأنَّ وجوههمُ الْمجانُ الْمطْرقَةُ »

وقال ﷺ :

ـ « إنَّ « يأْجُوجَ » و « مأْجوجَ » منْ ولَدِ آدمَ ، وإنهمْ لوْ أُرْسلوا إلى الناس ؛ لأَفْسدوا عليْهمْ معايشَهمْ ، ولنْ يموتَ منْهمْ أحدٌ ، إلاَّ تركَ منْ ذُرِّيته أَلْفاً فصاعداً » . .

وقدْ وصفهمْ « ابنُ كثيرٍ » بقولِه :

ـ وهم يشبهونَ الناس كأبناءِ جنسِهمْ من الأتراكِ المخرمة عيونهمْ ، الزلفُ أنوفهمْ ، الصهبُ شعورهم ... إلخ ..

وهذه الأوصافُ جاءتْ بها الأحاديثُ الشريفةُ ، حيثُ وصفهم الرسولُ ﷺ بأنهمْ يشبهونَ أبناءَ جنسِهمْ من التُّركِ المغولِ ، عراضِ الوجوهِ ، صغارِ العيونِ ، صهبِ الشعورِ .. وهمْ أناسٌ أقوياءُ لا طاقةَ لأحدٍ بقتالِهم ..

* * *

و « يأجوجُ » و « مأجوجُ » أمتانِ عظيمتانِ من الناسِ ، وأعدادُهم كبيرةٌ جدًا ، وهمْ من نسلِ « آدمَ » و « حواءَ » ، والدليلُ على ذلكَ هو قولُ الرسولِ ﷺ :

ـ « يقولُ اللهُ (تعالى) : يا آدمُ ، فيقولُ : لبيكَ وسعديكَ ، والخيرُ في يديكَ ، فيقولُ اللهُ (تعالى) : أخرجْ بعثَ النارِ . قالَ : وما بعثُ النارِ ؟ قالَ : من كلِّ ألفٍ تسعَ مئةٍ وتسعةً وتسعونَ .. فعندهُ يشيبُ الصغيرُ ، وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها ، وترى الناسَ سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ » .

قالَ الصَّحابةُ رِضْوانُ اللَّهِ عليهِمْ :

ـ وأَيُّنا ذلكَ الْواحدُ يا رسولَ اللَّهِ ؟!

فقالَ ﷺ :

ـ « أبْشِروا ، فإنَّ منْكُمْ رجُلاً ومنْ « يأْجُوجَ » و« مأْجُوجَ » ألف » ..

ومنَ الْعقائدِ الرَّاسخةِ التى يجبُ أنْ يؤْمنَ بها كُلُّ مُسْلِمٍ :

أنْ يؤْمنَ باللَّهِ وملائكتهِ وكُتُبِه ورُسُلِه ، والإيمانُ بالْقَدرِ خيْرِه وشَرِّه ، والإيمانُ بالْيومِ الآخِرِ وبالْحسابِ وبالْجنَّةِ والنَّارِ . والْيومُ الآخِرُ هو السَّاعةُ ..

وقدْ جعلَ اللَّهُ (تعالى) للسَّاعةِ علاماتٍ وأماراتٍ صُغْرى وكُبْرى ، إذا ظهرتْ كانَ ذلكَ دليلاً على اقْترابِ وُقُوعِها ..

وقدْ كانَ الرسولُ ﷺ يقولُ فى خُطْبَتِه دائماً :

ـ « بُعثْتُ أنا والساعةُ كهاتَيْنِ » ، وكانَ ﷺ يُشيرُ بأُصْبعَيْه السَّبَّابةِ والْوُسْطى علامةً على اقْترابِ السَّاعةِ ..

وقدْ دخلَ النبىُّ ﷺ على زوْجتهِ السَّيدةِ «زيْنبَ بنْتِ جحْشٍ» رضي الله عنها ذاتَ يومٍ فزِعاً ، وهو يقولُ :

ـ « لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ ، ويْلٌ للْعربِ من شرٍّ قدِ اقْتربَ ، فُتحَ الْيومَ منْ رَدْمِ « يأْجوجَ » و « مأْجوجَ » مثْلُ هذه ـ وحلَّقَ بأُصْبعَيْه الإبْهامِ والتى تليها » ..

قالت زينب بنت جحش : فقلت ، يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم ، إذا كثر الخبث » . .

وكان الصحابة ـ رضوان الله (تعالى) عليهم ـ يشفقون من قيام الساعة ، كلما ذكرهم النبي ﷺ بالساعة ، وذكر لهم علاماتها الصغرى التي وقع الكثير منها منذ عهده ﷺ والعلامات الكبرى التي إذا وقعت إحداها انفرط عقدها ، وتوالى ظهور بقية العلامات . .

* * *

وقد جعل الله (تعالى) هدم السد ، الذى بناه « ذو القرنين » وخروج « يأجوج » و « مأجوج » من حبسهم خلف السد علامة من العلامات الكبرى لقيام الساعة ، حيث ينطلقون من سجنهم ، فيملئون الأرض ، ويعيشون فيها ظلما وفسادا ، فلا يمرون على شيء في طريقهم إلا أتوا عليه ، وتركوا الأرض من خلفهم خرابا . .

وعلامات الساعة الكبرى التي ذكرها النبي ﷺ عشر علامات . .

عن « حذيفة بن أسيد الغفاري » رضي الله عنه قال :

ـ اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذاكرون ؟ »

قالوا : نتذاكرُ الساعةَ قالَ : « إنها لنْ تقومَ حتى تروْنَ قَبْلها عَشْرَ آياتٍ » ..

فذكرَ ﷺ « الدُّخانَ ، والدَّجَّالَ ، والدَّابَّةَ ، وطُلوعَ الشمْسِ منْ مَغْرِبِها ، ونُزُولَ « عيسى » عليه السلام ، و « يأْجوجَ » و « مأْجوجَ » ، وثلاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بالْمَشْرِقِ ، وخَسْفٌ بالْمَغْرِبِ ، وخَسْفٌ بجزيرةِ الْعَربِ ، وآخِرُ ذلكَ نارٌ تخْرُجُ من اليمنِ تطْرُدُ الناسَ إلَى مَحْشَرِهِمْ » ..

* * *

وهدْمُ السدِّ ، وخُروجُ « يأْجوجَ » و « مأْجوجَ » منْ خَلْفِهِ يكونُ نَذيرًا باقْترابِ قيامِ السَّاعةِ ، ويكونُ ذلكَ بعْدَ نُزُولِ نبيِّ اللَّهِ « عيسى » عليه السلام ، وقتاله الدَّجَّالَ ..

والدَّليلُ على ذلكَ ما رواهُ « ابْنُ مسْعُودٍ » رضي الله عنه في اجْتماعِ النبيِّ ﷺ بالأنْبياءِ صلواتُ اللَّهِ عليهمْ ، وتذاكُرِهمْ أمْرَ الساعةِ ، وقوْلِ « عيسى » عليه السلام :

« ...... وفيما عَهِدَ إلَيَّ ربِّي أنَّ الدَّجالَ خارجٌ ، ومَعَهُ قضيبانِ ، فإذا رآني ذابَ كما يذُوبُ الرَّصاصُ ، فيهْلكُهُ اللَّهُ إذا رآني ،

حتى إنَّ الحجر والشجر ليقولُ : يا مسلمُ إنَّ تحتي كافرًا فتعالَ فاقتُله ، فيهلكهم اللهُ ، ويرجعُ الناسُ إلى أوطانهم .. فعند ذلك يخرجُ « يأجوجُ » و « مأجوجُ » وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون ؛ فيطئون بلادهم ، لا يمرُّون على شيءٍ إلا أهلكوه ، ولا يمرُّون على ماءٍ إلا شربوه .. ثم يرجعُ الناسُ يشكُونهم ؛ فأدعو اللهَ عليهم فيهلكهم اللهُ ويميتهم حتى تمتلئ الأرضُ من نتنِ ريحهم ، وينزلُ اللهُ المطرَ ، فيجرفُ أجسادهم حتى يقذفهمُ البحرُ ، ففيما عهد إليَّ ربي أنَّ ذاك إذا كان كذلك فإنَّ الساعةَ كالحاملِ المتمِّ لا يدري أهلُها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهارًا » ..

ولكنْ أين يعيشُ « يأجوجُ » و « مأجوجُ » ؟! وأين يوجدُ سدُّهم الذي حبسهم « ذو القرنين » خلفه ؟!

* * *

لم يذكرْ لنا القرآنُ الكريمُ شيئًا عن مكانِ ذلك السدِّ ، وبالتالي لم يحددِ المكانَ الذي يعيشُ فيه « يأجوجُ » و « مأجوجُ » ..

ولكنَّ الكثيرين قديمًا وحديثًا حاولوا تحديدَ موضعِ السدِّ ومكانه على الكرةِ الأرضيةِ ..

قال بعضهم إنَّ هذا السَّدَّ هو سورُ الصينِ العظيمُ ، وهذا رأىٌ خاطِئٌ ، لأنَّ سورَ الصينِ العظيمَ بناهُ إمبراطورُ الصينِ الشهيرُ « شي هنج » وأوصافُ ذلكَ الإمبراطورِ الخلقيةُ لا تنطبقُ على صفات « ذى القرنينِ » التى ذكرها اللَّهُ (تعالى) فى القرآنِ الكريمِ ..

وقالَ بعضهم إنَّ سدَّ « ذى القرنينِ » هو سدُّ بابِ الحديدِ الموجودُ فى قريةِ « ترمند » التابعةِ لمدينةِ « بلخ » الواقعةِ فى بلادِ ما وراءَ النهرِ ، على الطريقِ المؤدى إلى « سمرقند » ..

وهذا قولٌ خاطِئٌ أيضًا لأنَّ سدَّ بابِ الحديدِ المذكورِ قد دُمِّرَ وانتهى أمرُهُ ، بينما سدُّ « ذى القرنينِ » مازالَ وسوفَ يظلُّ موجودًا إلى أنْ يأذنَ اللَّهُ (تعالى) بهدمه وتدميرِهِ قُربَ قيامِ الساعةِ لقولِ اللَّهِ (تعالى) :

﴿ فإذا جاءَ وعدُ ربى جعلهُ دكَّاءَ وكانَ وعدُ ربى حقًّا ﴾

وقالَ بعضهم إنَّ السدَّ موجودٌ فى مكانٍ جبلىٍّ شاهقِ الارتفاعِ ، قائمٍ كجدارينِ شامخينِ فى المضيقِ الجبلىِّ المعروفِ باسمِ مضيقِ « داريال » والموجودِ فى جمهوريةِ « چورچيا » ..

وقد استخدمت فى تشييده قطع الحديد الكبيرة والنحاس المصهور ، كما وصفه القرآن الكريم تماما .. وهى كتلة هائلة من الحديد المخلوط بالنحاس موجودة فى جبال القوقاز ، التى تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين بطول (1200) كيلومتر .

وقد حاول بعض الملوك والمؤرخين أن يتعرفوا على مكان ذلك السد ، مثل الخليفة العباسى « الواثق » الذى أمر بعض أمرائه أن يسير ومعه سرية من الجيش ؛ لينظروا إلى ذلك السد ، ويعاينوه ، ثم يعودوا إلى « بغداد » ليصفوه ..

وقد غاب هذا الأمير عامين مع بعثته ، وصلوا خلالهما إلى ذلك السد وعاينوه ، ورأوا بناءه من الحديد والنحاس المصهور ، ورأوا مدى ارتفاعه ، ورأوا عنده حراسا من الممالك المجاورة له ، ثم عادوا ووصفوا ما شاهدوه للخليفة ..

* * *

وقد يقول قائل أو يتساءل متسائل ، خاصة فى هذا العصر الحديث ، الذى تقدمت فيه وسائل المواصلات البحرية والبرية والجوية ، وأطلقت الأقمار الصناعية ، التى لم تترك بقعة من الأرض إلا وصورتها ، قد يقول قائل :

ـ لو كان « يأجوج » و « مأجوج » موجودين خلف هذا السد لرأيناهم واطلعنا عليهم ؟! هل من المعقول ألا نراهم ونطلع عليهم ؟!

والجواب على ذلك أن الله (تعالى) إذا أراد شيئا فإنما يقول له « كن فيكون » .. وقد أراد الله أن يخفى مكان السد ، وأن يخفى « يأجوج » و « مأجوج » إلى أن يأذن سبحانه لخروجهم فى الوقت الذى يريده سبحانه ، والذى سيكون مؤذنا بقيام الساعة ..

قال الله (تعالى) :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج و مأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾

[سورة الأنبياء ، الآيتان : ٩٦ ، ٩٧]

* * *

ولكن كيف يخرج « يأجوج » و « مأجوج » ؟!

لقد أخبرنا الرسول ﷺ بكيفية خروجهم ، فقال :

ـ « إن « يأجوج » و « مأجوج » ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا

يرون الشعاع ، قال الذى عليهم (رئيسهم) : ارجعوا فستحفرونه غدا ، فيعيده الله أشد مما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فينشفون الماء ، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم ، فيرمون سهامهم إلى السماء ، فترجع وعليها كهيئة الدم الذى أجفظ (أى ترجع ممتلئة بالدم) فيقولون : قهرنا أهل الأرض ، وعلونا أهل السماء ؛ فيبعث الله عليهم نغفا (دودا) فى أقفائهم فيقتلهم بها ، والذى نفسى بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم » . .

[رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم]

وفى حديث آخر عن « أبى سعيد الخدرى » ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ـ « تفتح يأجوج ومأجوج ، يخرجون على الناس كما قال الله (عز وجل) : [من كل حدب ينسلون] فيغشون فى الأرض (أى ينتشرون) وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ،

ويضمون إليهم مواشيهم ، ويشربون مياه الأرض ، حتى إنَّ بعضهم ليمر بذلك النهر فيقول : قد كان ها هنا ماء مرة ، حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة قال قائلهم : هؤلاء أهل الأرض ، قد فرغنا منهم ، بقي أهل السماء ، ثم يهز أحدهم حربته ، ثم يرمي بها إلى السماء ، فترجع إليهم مخضبة دماء للبلاء والفتنة ، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عليهم داء في أعناقهم كغنف الجراد الذي يخرج في أعناقه ، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس ، فيقول المسلمون : ألا رجل يشري لنا نفسه (أي يضحي) فينظر ما فعل هذا العدو ؟

فيتجرد رجل منهم محتسبا نفسه ، قد وطنها على أنه مقتول ، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض ، فينادي : « يا معشر المسلمين ألا أبشروا ، إن الله قد كفاكم عدوكم ، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ، ويسرحون مواشيهم ، فما يكون لها مرعى إلا لحومهم ، فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته » . . [أخرجه أحمد وابن ماجه]

وبعد ظهور « يأجوج » ومأجوج » وإفسادهم في الأرض ، وأكلهم الأخضر واليابس ، وإثارتهم الفزع في قلوب الناس

واختباء المؤمنين منهم ، وذلك في زمن نزول نبي الله « عيسى » عليه السلام إلى الأرض ، يدعو عليهم « عيسى » عليه السلام ، ويهلكهم الله (تعالى) ..

ثم يعم الخير والرخاء الأرض ، وتعم البركة كل شيء ، حتى يأذن الله (تعالى) بظهور بقية العلامات وقيام الساعة ..

* * *

قال الله (تعالى) :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾

[سورة الأنبياء ، الآيتان : ٩٦ ، ٩٧]

(تمت)

رقم الإيداع : ١٩٨٠ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولي : ٨ - ٩٦٦ - ٢٦٦ - ٩٧٧